الفصل الرابع
المرأة في المجتمع اليوناني

لا يخفى على مفكر التقدم الذي عاشته الحضارة اليونانية ، ولكن لهـذا التقدم مظاهر مختلفة. فكان تقدماً عسكرياً وعمرانياً وكان يتجلى في أشكال أخرى لا مجال لسردها الآن ، أما إذا نظرت نظرةً متعمقةً إلى الواقع الاجتماعي في هـٰذه المجتمعات اليونانية ، وفي حالة تصليت الضوء على المرأة اليونانية ترى أن التخلف عينه قد تجسد في هـٰذه الفلسفة وهـٰذه المجتمعات ، فترى تعاملهم مع المرأة على أنها كائنٌ حقيرٌ لا يستحق مجرد الحياة ، ولولا أن حياتها مطلوبةٌ لمصلحة هؤلاء الرجال لما أبقى اليونان على حياتها ، إنهم يستخدمون النساء في أتفه المهام فيستخدمونهم في البغاء وفي أعمال التنظيف وفي المهام الأخرى التي لا ترتقي بالمرأة إلى مستوى الرجال[1].

لقد كانت المرأة في هـٰذه المجتمعات مسحوقةً ومغلوبةً على أمرها ، تعامل معاملة قاسية وعنيفة مليئة بالقهر والاستعباد ، وبطبيعة الحال فقد حرمت من شتى حقوقها المدنية وسواها؛ لأنهم ينظرون إليها باعتبارها ناقصة الأهلية ، بل ومعدومة الأهلية في بعض الحالات ، ويتخذون من سبب قابليتها الحمل والإنجاب سبباً في تدني منزلتها ، فينظرون إلى هـٰذه المهمة النبيلة التي أناطها الخالق عز وجل تكريماً وتشريفاً لهن بأنها مهمة تثبت أن المرأة أقرب إلى الحيوان ، وإذا أردنا مناقشة هـٰذه الفلسفة لا بد لنا أن نقول: كيف ينظرون إلى المرأة وكأنها مخلوق مقاربٌ إلى الحيوان ، مع العلم أن هـٰذا الرجل الذي يتعالى عليها قد نشأ في أحشائها وقد تغذى من غذائها وتنفس من تنفسها ورضع

---

(١) ستراتشي راي ـ م س ص: ٣٨٩.

من لبنها؟! ولا يخفى على عاقل المكان الذي خرج منه هـٰذا الرجل من جسد المرأة ، فقد خرج ذلك العظيم من بين فوهتين إحداهما للبول والأخرى للغائط ، ونتيجة لهـذا المقياس نستطيع أن نقوم من العظيم ومن الحقير ، مع العلم أن الرجل والمرأة كلاهما يخرجان من مكان واحد ، ولا فضل لرجل على امرأة ولا لغني على فقير إلا بخلقه ، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

واعلم أن المرأة في هـٰذه الحضارة العريقة التي يتفاخر بها ذيول الغرب في أيامنا هـٰذه لم تكن تمتلك حق التقاضي ولا رفع الخصومات أمام المحاكم ، ولم تمنح الأهلية وحق التصرفات القانونية والشرعية ، بل وبلغ الأمر في هـٰذه الحضارة أنه قد جاء في تشريع صولون بأن الرجل الذي يقوم بعمل تحت تأثير المرأة يعتبر عمله باطلا قانونا[1] ، وبطبيعة الحال حرمت حقها في الميراث وأباحوا للرجل قمع أمومتها متى شاء فلا يحق لها أن تحتضن طفلها ولا أن تقوم على تنشئته ، بل إن ذلك يعتبر منحة من الرجل إذا شاء أعطاها وإن لم يشأ منعها ، بل إن حق الحياة بالنسبة للأطفال مرتهنٌ بمشيئة الرجل فقط ، فإذا شاء أن يأخذ طفلا من أطفاله فيضعه في جرة على الجبل بلا طعام ولا شراب ، فيموت نتيجة الجوع والعطش وتقلبات المناخ لا تملك عند ذلك المرأة أن تعترض ولا بكلمة واحدة؛ لأنها لا قرار لها وإنما هي ألعوبةٌ بيد الرجل ، وهـٰذا مثال عملي على الوأد الذي مارسه العرب في جاهليتهم الأولى قبل الإسلام ، والذي جاءت الشريعة الإسلامية تحرمه تحريما مطلقا ، وقد تقدم ذكر ذلك تفصيلاً فلا حاجة للتكرار[2].

وكان اليونان يبيحون لذكورهم الزنى والحرية الإباحية الكاملة فكان الرجل يتخذ عشيقة وعشيقتين ، بل ومائة عشيقة قبل الزواج وبعده لا حرج عليه

---

(١) صولون ـ مشرع يوناني.

(٢) ستراتشي راي ـ م س ص ٣٩٠.

ولا بأس في ما يعمل ، أما المرأة فيطلب منها أن تكون عفيفة قبل الزواج وشريفة بعد الزواج ، وإذا خرجت عن هـٰذه القاعدة تعرضت لوبال كبير ، ولكن هؤلاء اليونان سمحوا لبعض النساء أن يمارسن الرذيلة من أجل أن يكنَّ عشيقات لهؤلاء الرجال ، وأبقوا على جانبٍ من النساء في عفة الزوجية كما يطلبون وكما يشتهون ، وفي ذلك يقول ديمستين : (إننا نتخذ العاهرات للذة ، والخليلات لصحة أجسامنا ، والزوجات ليلدن لنا الأولاد الشرعيين ويعتنين ببيوتنا عناية تنطوي على الأمانة والإخلاص)[1] .

ومن وجوه التمييز المعروفة في هـٰذه الحضارة أنهم يعطون الرجل حق طلاق زوجته إذا كانت عقيماً ولا يعطون المرأة ذلك الحق ، في حال كون زوجها عقيماً ، ويمنحونه حق طلاقها في حال كونها سيئة العشرة ولا يمنحونها مثل ذلك الحق ، ولم يقف الأمر عند ذلك ، بل في حال كون الرجل عقيماً يستطيع أن يستعين بأحد أقربائه ليضاجع زوجته فتحمل منه ، ثم ينسب هـٰذا الولد إلى الزوج العقيم ، انظر في هـٰذه الحالة إلى مستوى تعاملهم مع المرأة ، إن العربي المسلم يتعامل مع المرأة على أنها شرفه وعرضه وكرامته ، وإذا قارب ثوبه من التدنيس غضب غضباً شديداً وربما أدى ذلك إلى سفك الدماء ، أما في هـٰذه المجتمعات اليونانية المتحضرة فينظرون إلى المرأة على أنها كائن يساوي الحيوانات ، فلا بأس إذا قام فلاح باستئجار ثور ليلقح بقرته طالما أنها ستنجب له بقرة جديدة! ويذكرني هـٰذا الأمر بزواج الاستبضاع الذي كانت العرب تفعله؛ فكان الرجل يبحث عن أحد الزعماء أو الفرسان الأشاوس أو المتصفين بالكرم الطائي ، ويتمنى أن يولد له ابنٌ بصفات ذلك العظيم ، فيقول لزوجته : اذهبي وامكثي عند فلان حتى تحملي ثم تعودي إلي ، وينسب ذلك الولد لنفسه متمنياً أن يخرج متمتعاً بصفات أبيه الحقيقي .

* * *

(١) ديورانت ويل ـ م س ص : ١١٤ .